

## سورة القيامة

هي مكية، وعدد آياتها أربعون، نزلت بعد سورة القارعة.

ووجه اتصالها بما قبلها، أنه ذكر في السورة السابقة قوله: «كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ» وكان عدم خوفهم منها لإنكارهم للبعث، وذكر هنا الدليل عليه بأنهم وجه، فوصف يوم القيامة وأحواله وأحواله، ثم ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ  
الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ (١) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِيَ بَنَانَهُ (٤)  
بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا  
بَرَقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ  
الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُغُ؟ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ  
الْمُسْتَقَرُّ (١٢) مُنْتَبِئًا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ  
عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥).

## شرح المفردات

(لا أقسم) تزيد العرب كلمة (لا) في القسم كما قال امرؤ القيس:

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعى القوم أنى أفر

ويرى قوم أن (لا) نافية رد للكلام كان قد تقدم وجواب لهم، وذلك هو

المعروف في كلام الناس في محاوراتهم ؛ فإذا قال أحدهم : لا والله لا فعلت كذا — قصد بقوله (لا) رد الكلام السابق ، وبقوله والله ابتداء يمين ، فهم لما أنكروا البعث قيل لهم : ليس الأمر على ما ذكرتم ؛ ثم أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة : إن البعث حق لا شك فيه .

ويرى جمع من المفسرين أنها للنفى على معنى أنى لأعظمه بإقسامى به حق إعظامه ، فإنه حقيق بأكثر من هذا وهو يستأهل فوق ذلك .

قال مجاهد : النفس اللوامة هي التي تلوم نفسها على ما فاتت ، وتندم على الشر لم فعلته ؟ وعلى الخير لم لم تستكثر منه ؟ فهي لم تزل لأئمة وإن اجتهدت في الطاعات (بلى) كلمة يجاب بها إذا كان الكلام منفيًا ، فالمراد بها هنا نعم نجمعها بعد تفرقها ، والبنان واحده بنانة وهي الأصابع . قال النابغة :

بمخضَّب رخص كأن بنانه عَمَّ يكاد من اللطافة يُعقد

ليفجر أمامه : أي ليدوم على فجوره في الحاضر والمستقبل لا ينزع عنه ، برق تحير فزعاً من قولهم : برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدُهِش بصره ، قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرّضت لعينيه مى سافراً كاد يبرق

وخسف القمر : ذهب ضوءه ، والمفر : الفرار ، والوزر : الملجأ ؛ وأصله الجبل المنيع ، ومنه قوله :

لعمرك ما لفتى من وزر من الموت يدركه والكبير

ينبأ : أي يخبر ، بصيرة : أي حجة شاهدة على ما صدر منه ، والمعاذير : ما يعتذر به .

### المعنى الجملى

أقسم تعالى بعظمة القيامة ، وبالنفس الطموحة إلى الرقى ، الجانحة إلى العلو ، التي لاتصل إلى مرتبة إلا طلبت ما فوقها ، ولا إلى حال إلا أحبت ما تلاها — إن

هناك حالاً أخرى للنفس تنال فيها رغائبها، في عالم أكمل من هذا العالم، عالم السعادة الروحية للمطيعين، وعالم الشقاء للجاحدين المعاندين .  
وهذا القسم وأمثاله لم يطرق آذان العرب من قبل، فهم كانوا يقسمون بالأب والعم والكمبة ونحو ذلك .

روى أن عدى بن أبي ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم القيامة متى يكون وما حاله وأمره فأخبره به، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك، أو يجمع الله هذه العظام ؟ فنزلت هذه الآيات، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اكفني شر جاري السوء » .

### الإيضاح

( لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة ) أقسم سبحانه بيوم القيامة وعظيم أهواله، وبالنفس التواقفة للعالمى التى تندم على الشر لم فمكته، وعلى الخير لم لم تستكثر منه، فهى لم تنزل لأئمة وإن اجتهدت فى الطاعة - لتبعن وتنجسبن على ما تفعلون .

وقال الفراء : ليس من نفس برّة ولا فاجرة إلا وهى تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت هلاًّ ازددت، وإن كانت عملت سوءاً قالت ليتنى لم أفعل، وعلى هذا فهو مدح للنفس، والقسم بها سائغ حسن اهـ .

وقسمه سبحانه بيوم القيامة لتنظيمه وتخييم شأنه، والله أن يقسم بما شاء من خلقه . قال سعيد بن جبير : سألت ابن عباس عن قوله « لا أقسم بيوم القيامة » قال : يقسم ربك بما شاء من خلقه .

( أychب الإنسان أن لن نجعم عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ) أى أيقظ ابن آدم أن لن تقدر على جمع عظامه بعد تفرقها ؟ بلى نحن قادرون على ذلك وأعظم منه، فنحن قادرون على أن نسوى بنانه وأطراف يديه ورجليه، ونجعلهما

شيئاً واحداً كحف البعير وحافر الحمار ، فلا يستطيع أن يعمل بها شيئاً مما يعمله بأصابعه المفرقة ذات المفصل والأنامل ، من فنون الأعمال التى تحتاج إلى القبض والبسط ، والتأنى فى عمل ما يراد من الشئون كالغزل والنسج والضرب على الأوتار والعيدان ، إلى نحو أولئك .

والخلاصة — إنا لقادرون على جمع العظام وتأليفها وإعادةها إلى مثل التركيب الأول بعد تفرقتها وصيرورتها عظاماً ورفاتاً فى بطون البحار ، وفسيح القفار ، وحيثما كانت ، وعلى أن نسوى أطراف يديه ورجليه ونجعلها شيئاً واحداً فيكون كالجلج والحمار ونحوهما ، فإكل كل كما تأكل ، ويشرب كما تشرب ، وفى ذلك خسران كبير له ، وتشويه خلقه ، وإفساد لوظيفته التى أعدت لها فى الحياة .

( بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ) أى لا يحفل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه ، لكنه يريد أن يمضى قدماً فى المعاصى لا يثنيه عنها شئ ، ولا يتوب منها ، بل يسوف بالتوبة فيقول : أعمل ثم أتوب بعد ذلك .

والخلاصة — إنه انتقل من إنكار الحساب ، إلى الإخبار عن حال الإنسان الحاسب ، ليكون ذلك أشد فى لومه وتوبيخه كأنه قيل : دع تعنيفه على ذلك ، فإنه قد بلغ من أمره أنه يريد أن يداوم على فجوره فيما يستأنف من الزمان ولا يتخلى عنه .

ثم علل إرادته دوام الفجور بقوله :

( يسأل أيان يوم القيامة ؟ ) أى يسأل سؤال متعنت مستبعد ، متى يكون هذا اليوم ؟ ومن أنكر البعث أشد الإنكار ، ارتكب أعظم الآثام ، وخب فيها ووضع غير عابى بعاقبة ما يصنع ، ولا مقدر نتائج ما يكتب .

ونحو الآية قوله : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ » ، وقوله : « هَبْهَاتَ هَبْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ » .

وقصارى ماسلف أنهم أنكروا البعث لوجهين :

(١) شبهة تعترض الخاطر: كقولهم إن أجزاء الجسم إذا تفرقت واختلطت بالتراب، وسارت في مشارق الأرض ومغاربها ، كيف يمكن تمييزها وإعادةها على النحو الذى كانت عليه أولاً ، ولهؤلاء جاء الرد بقوله : « أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَهُ عِظَامَهُ . بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ » .

(٢) حبة الاسترسال في اللذات ، والاستكثار من الشهوات ، فلا يود أن يقرّ بمحشر ولا بعث حتى لا تتنقص عليه لذاته ، ومثل هؤلاء قال : « بَلْ مُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ » .

وقد ذكر سبحانه من علامات يوم القيامة أموراً ثلاثة فقال :

(١) (فإذا برق البصر) أى إذا تحير البصر ودهش فلم يطرّف من شدة الهول ومن عظم ما يشاهد ، قال القراء : تقول العزب للإنسان المتحير المبهوت : قد بزق ، وأنشد :

فَنَفْسِكَ فَانَعْ وَلَا تَتَّعِنِي      وَدَارِ الْكَلُومِ وَلَا تَبْرِقِ

أى لا تنزع من كثرة الكلوم والجروح التى أصابتك .

ونحو الآية قوله : « لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ » .

(٢) (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه ، كما نعهله من حاله فى الدنيا ، إلا أن الخسوف فى الدنيا إلى انجلاء ، وفى الآخرة لا يعود ضوءه .

(٣) (وجمع الشمس والقمر) أى أدرك كل واحد منهما صاحبه وطلعا من المغرب أسودين مكورين مظلمين على ما روى عن ابن مسعود، وقد كان هذا مستحيلا فى الدنيا كما جاء فى قوله سبحانه : « لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » .

(يقول الإنسان يومئذ أين المفر؟) أى يقول الإنسان حينئذ لدهشته وحيرته :  
أين المفر من جهنم؟ وهل من ملجأ منها؟ فأجيبوا حينئذ :

(كلا لاوزر) أى كلا لاشئ يُعْتَصَمُ به من أمر الله ، فلا حصن ولا جيل  
ولا سلاح يقيمكم شيئاً من أمره ، قال السدى : كانوا إذا فرغوا فى الدنيا تحصنوا  
بالجبال ، فقال الله لهم : لاوزر يعصمكم منى .

ونحو الآية قوله : « مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ » .  
ثم كشف عن حقيقة الحال وبيّنها بقوله :

(إلى ربك يومئذ المستقر) أى إلى ربك مرجحك فى جنة أوتار ، وأمر ذلك  
مفوّض إلى مشيئته ، فمن شاء أدخله الجنة ، ومن شاء أدخله النار .  
ونحو الآية قوله : « وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى » .

ثم ذكر أن ماله رهن بما عمل فقال :

(ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر) أى يخبر الإنسان حين العرض والحساب  
ووزن الأعمال — بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما  
قال : « وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا » .

قال القشيري : وهذا الإنباء يكون يوم القيامة عند وزن الأعمال ؛ وعن  
أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبع يُجْرَى أجرها للعبد بعد  
موته وهو فى قبره ، من علم علما ، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس ظلا ، أو بنى  
مسجدا ، أو ورّق مصحفا ، أو ترك وليا يستغفر له بعد موته » .

ثم بيّن أن أعظم شاهد على المرء نفسه ، فهى نعم الشاهد عليه فقال :  
(بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) بل الإنسان حجة بيّنة على  
نفسه ، فلا يحتاج إلى أن ينبئه غيره ، لأن نفسه شاهدة على ما فعل ، فسمعه وبصره  
ويده ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه ، وسيحاسب عليه مهما أتى بالمعاذير وجادل

غنها كما قال : « أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » .

وقال الفراء في الآية : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ، وأشد :

كأن على ذى العقل عينا بصيرة      بمجلسه أو منظر هو ناظرة  
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم      من الخوف لا يخفى عليهم سريره

لأَتَحَرَّكَ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)  
فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ  
الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَى  
رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا  
فَاقِرَةٌ (٢٥) .

### شرح المفردات

لتعجل به : أى لتأخذه على عجل مخافة أن يتفط منك ، وقرءانه : أى قراءته  
أى إثباتها فى لسانك ، قرآنه : أى قرأه جبريل عليك ، فاتبع قرءانه : أى فاستمع  
قراءته ، وكررها حتى يرسخ فى نفسك ، بيانه : أى تفسير ما فيه من الحلال والحرام  
وبيان ما أشكل من معانيه ، والعاجلة : دار الدنيا ، ناصرة : أى متهلة بشرا بما  
ترى من النعيم ، ناظرة : أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، باسرة : أى شديدة  
العبوس كالخلة متغيرة مسودة ، تظن : أى تستيقن ، فاقرة : أى داهية عظيمة  
تكسر فقار الظهر .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن النكير للقيامة والبعث معرض عن آيات الله ، منكر لعظيم  
قدرته ، وأنه سائر فى غلوائه ، غير مكترث بما يصدر منه — أزدفه بذكر حال من

يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقنها والنظر فيها وعرضها على من يتكرها ، رجاء قبوله إياها ، ليظهر بذلك تباين حال الفريقين : من يرغب في تحصيل آيات الله ، ومن يرغب عنها « وبضدها تتبين الأشياء » ثم عاد إلى ذكر السبب في إنكار البعث وهو حبّ بنى آدم للعاجلة ، وتركهم للآخرة ، ثم ذكر كما يكون في ذلك اليوم من استبشار المؤمنين و بُسُور المشركين وملاقاتهم للشدائد والأهوال ، وظنهم أن ستراكم عليهم الدواهي التي تكسرقفار ظهورهم .

### الإيضاح

علم الله رسوله كيف يتلقى الوحي من الملاك ، إذ كان يسأله في قراءته فأمره أن يستمع إليه إذا جاء وقد كفل له : (١) أن يحفظه له . (٢) أن يبصره لأدائه على الوجه الذى ألقاه إليه . (٣) أن يبينه ويفسره له .  
وقد أشار إلى الأول بقوله :

( لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) أى لا تحرك أيها الرسول الكريم بالقرآن لسانك وشفثيك ، لتأخذ على عجلة مخافة أن يتفقت منك ، فإن علينا أن نجعله لك حتى تثبته في قلبك . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي يحرك به لسانه وشفثيه ، فيشتد عليه ويعرف ذلك في تحريكه شفثيه حتى نزلت الآية ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما أمره الله .

عن ابن جبير عن ابن عباس قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة بتجريك شفثيه ، فقال لى ابن عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، فأنزل الله عز وجل : « لا تحرك به لسانك » رواه مسلم .

وأشار إلى الثاني بقوله :

(فإذا قرأناه فاتبع قرأه) أى فإذا تلى عليك فاعمل بما فيه من شرائع وأحكام.

وقد يكون المراد — فإذا تلاه عليك الملك فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك .

وأشار إلى الثالث بقوله :

(ثم إن علينا بيانه) أى ثم إننا بعد حفظه وتلاوته ، نبينه لك ونلهمك معناه

على ما أردنا وشرحنا .

ثم أعاد القول فى توبيخ المشركين على إنكارهم للبعث فقال :

( كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ) أى ليس الأمر كما تقولون أيها

المشركون : من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم ، ولا تجازون بأعمالكم ، ولكن الذى

دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم للندى العاجلة، وإيثاركم شهواتها على أجل الآخرة ونعيمها،

فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآخرة .

قال قتادة — اختار أكثر الناس العاجلة إلا من رحم الله وعصم .

والخلاصة — إنكم يا بنى آدم خلقت من عجل وطبعتم عليه ، فتمعجلون فى كل

شئ ، ومن ثم تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة .

ثم بين ما يكون من أحوال المؤمنين وأحوال الكافرين فقال :

(١) (وجوه يومئذ ناضرة) أى فوجوه المؤمنين الخالصين حين تقوم القيامة

مضيئة مشرقة ، تشهد عليها نضرة النعيم .

(إلى ربها ناظرة) أى تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، قال جمهور أهل العلم:

المراد بذلك ما توارت به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربهم

يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر .

قال ابن كثير : وهذا بحمد الله مجمع عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه

الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام اه .

روى البخارى فى صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » وروى الشيخان عن أبى سعيد وأبى هريرة « أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال : هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس ذونهما سحب؟ قالوا لا ، قال : فإنكم ترون ربكم كذلك » .

وروى ابن جرير عن مجاهد أنه قال : إن النظر هنا انتظار ما لهم عند الله من الثواب ، قال الأزهرى : قد أخطأ مجاهد ؛ لأنه لا يقال نظر إلى كذا بمعنى انتظار ، فإن قول القائل : نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرت ، وأشعار العرب وكلماتهم فى هذا كثيرة جدا اهـ .

(٢) (ورجوه يومئذ بأسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة) أى ووجوه الفجار تكون يوم القيامة عابسة كالحلة مستيقنة أنها ستصاب بداهية عظيمة تقصم فقار ظهرها وتهلكها .

ونحو الآية قوله : « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ » وقوله : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرَةُ الْفَجَرَةُ » .

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ؟ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالتَّتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥) أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أَلَمْ يَتْرِكْ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧)

مُّمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَاقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ  
وَالْأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)

### شرح المفردات

التراقى : العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال ، واحدها ترقوة ، من راق :  
أى من يرقيه وينجيه مما هو فيه على نحو ما يستشفى به الملسوع والمريض من الكلام  
الذى يُعدُّ لذلك ؛ والمراد هل من طبيب يشفى بالقول أو بالفعل ، الفراق : أى من  
الدنيا حبيبته ، التفَّت الساق بالساق : أى التوت عليها حين هلع الموت وقلقه ؛ والمراد  
أنه اشتد عليه الخطب ، المساق : المرجع والمآب ، فلا صدق ولا صلى : أى فلا آمن  
بقلبه ولا عمل بيده ، يتمطى : أى يتبختر افتخارا ، أولى لك : أى ويل لك ، وهو  
دعاء عليه بأن يليه ما يكره ، فأولى : أى فهو أولى بك من غيرك ، فدلّت الأولى على  
الدعاء عليه بقرب المكروه ، ودلت الثانية على الدعاء عليه بأن يكون أقرب إليه  
من غيره ، سدّى : أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب ،  
نطفة : أى ماء قليلا وجمعها نطاف ونطف ، يعنى : أى يراق ويصب فى الرحم ،  
علقة : أى قطعة دم جامد .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أحوال يوم القيامة وما يرى فيها من عظيم الأحوال ، ووصف  
سعادة السعداء ، وشقاوة الأشقياء بين أن الدنيا لها نهاية ونفاد ثم تكون مرارة الموت  
وآلامه ، وأن الكافر قد أضاع الفرصة فى الدنيا ، فلا هو صدق بأوامر دينه ،  
ولا هو أدى فرائضه .

ثم أقام الدليل على صحة البعث من وجهين :

- (١) أنه لا بد من الجزاء على صالح الأعمال وسيئها، وثواب كل عامل بما يستحق، وإلا تساوى المطيع والمعاصي، وذلك لا يليق بالحكيم العادل جل وعلا .
- (٢) أنه كما قدر على الخلق الأول وأوجد الإنسان من منى يمى، فأهون عليه أن يعيده خلقاً آخر !

## الإيضاح

(كلا) ردع وزجر: أى ازدجروا ونهبوا إلى ما بين أيديكم من الموت، فأعلموا عن إشار الدنيا على الآخرة، فستنقطع الصلة بينكم وبينها وتنتقلون إلى الدار الآخرة التى ستكونون فيها مخلدين أبدا .

ثم وصف الحال التى تفارق فيها الروح الجسد فقال :

(إذا بلغت التراقي) أى إذا بلغت الروح أعالي الصدر، وأشرقت النفس على الموت، قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

وَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعَتْ عَنْهَا وَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُمُ التَّرَاقِي

والعرب تحذف من الكلام ما يدل عليه يقولون أرسلت: يريدون أرسلت السماء المطر، ولا تكاد تسميهم يقولون: أرسلت السماء، قال حاتم يخاطب زوجته:

أَمَارِيٌّ مَا يَنْزِي الثَّرَاءَ عَنِ النَّعْيِ إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ  
وَنَحْوُ الْآيَةِ قَوْلُهُ: « فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ » .

(وقيل من راق؟) أى وقال أهله: من يرقيه ليشفيه مما نزل به؟ قال قتادة: التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئاً، وقال أبو قلابة: ومنه قول الشاعر:

هل للفتى من بنات الموت من وراق أم هل له من حمام الموت من راقى

(وظن أنه الفراق) أى وأيقن المحتضر أن ما نزل به نذير الفراق من الدنيا والمال والأهل والولد، وسمى هذا اليقين ظناً؛ لأن المرء مادامت روحه متعلقة ببديته

يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه العاجلة كما قال: (كلا بل تحبون العاجلة) فلا يحصل له يقين الموت، بل الظن الغالب مع رجاء الحياة.

(والتفت الساق بالساق) أي التوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما، قال قتادة: أما رأيت به إذا أشرف على الموت يضرب برجله على الأخرى، وقال ابن عباس: المراد التفت شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة واختلطتا، فالتفت بلاء بيلاء، والعرب تقول لكل أمر اشتد، شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه، قال الباقية الجندی :

أخوال الحرب إن عضت به الحرب عضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا  
(إلى ربك يومئذ المساق) أي إلى خالقك يوم القيامة الرجوع والمآب، والمراد إنك صائر إلى جنة أو نار.

وجواب إذا وتام الجملة يقدر بنحو قولنا — انكشفت الدرء حقيقة الأمر، أو وجد ما عمله من خير أو شر حاضرا بين يديه.

ثم ذكر ما كان قد فرط منه في الدنيا فقال :

(فلا صدق ولا صلى. ولكن كذب وتولى) أي فاصدق بالله ووحدايته، بل اتخذ الشركاء والأنداء ووجد كتبه التي أنزلها على أنبيائه، وما صلى وأدى فرائضه التي أوجبها عليه، بل أعرض وتولى عن الطاعة.

(ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أي ليمته اقتصر على الإعراض والتولى عن الطاعة بل هو قد ذهب إلى أهله جذلان فرحا، يمشى الخيلاء متبخترا.

والخلاصة — إن هذا الكافر كان في الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بحوارجه، معجبا بما فعل، فلا خير فيه لا باطنا ولا ظاهرا.

ثم هدده وتوعده فقال :

(أولى لك فأولى) أي ويل لك مرة بعد أخرى، وأهلكك الله هلاكا أقرب لك من كل شر وهلاك.

ويرى قوم أن معنى أولى أجمل وأخرى، فيكون المراد - النار أولى بك وأجمل .  
ثم كرر هذا الوعيد فقال :

(ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر هذا الدعاء عليك مرة بعد أخرى ، فانت  
جدير بهذا .

روى قتادة « أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد أبي جهل فقال : أولى لك فأولى  
ثم أولى لك فأولى ، فقال عدو الله : أتوعدنى يا محمد ، والله ما تستطيع لى أنت  
ولا ربك شيئاً ، والله لأنا أعز من مشى بين جبليها ، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم  
فقال : لا يعبد الله بعد هذا اليوم ، فقتل إذ ذاك شرّ قتله » .

وعن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قول الله تعالى : « أَوْلَىٰ لَكَ  
فَأَوْلَىٰ » أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه أم أمره الله تعالى به ؟  
قال بل قاله من قبل نفسه ، ثم أنزله الله تعالى » .

ثم أقام الدليل على البعث من وجهين :

(١) (أحسب الإنسان أن يترك سدى) أى لا يترك الإنسان فى الدنيا مهمل  
لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره مهمل لا يحاسب ، بل هو مأمور منهى محشور  
إلى ربه ، فخالق الخلق لا يساوى الصالح الزكى نفسه بصالح الأعمال ، والطالح المدسّى  
نفسه باجتراح السيئات والآثام كما قال : « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ  
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ » وقال : « أَمْ نَجْمَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
كَالْمُسَدِّينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْمَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ » .

وإذا فلا بد من دار للأواب والعقاب والبعث والقيامة .

(٢) ( ألم يك نطفة من منى يمى . ثم كان علقة نخلق فسوى . فجعل منه  
الزوجين الذكر والأنثى ؟ ) أى أما كان هذا المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته  
وإيجاده بعد فنائه - نطفة فى صلب أبيه ، ثم كان علقة ثم سواه بشرا ناطقا سميعا  
بصيرا ، ثم جعل منه أولادا ذكورا وإناثا بإذنه وتقديره ؟ .

(أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) أي أليس الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة المذرة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟ فذلك أهون من البدء في قياس العقل كما قال: «وَهُوَ الَّذِي بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» .

وقد جاء من طرق عدة «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية قال: سبحانك اللهم وأبى وأخرج أحمد وأبو داود وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم: «وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ، وانتهى إلى آخرها: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ» فليقل: بلى وأنا على ذلكم من الشاهدين، ومن قرأ: «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فأنتهى إلى: أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» فليقل بلى، ومن قرأ المرسلات فبلغ «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» فليقل آمنا بالله .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيد المرسلين .